العنف والعنف المضاد في ديوان "يوم إضافي للقيامة" للشاعرة عدالة عساسلة

الأستاذ: عيسى مروك اشراف : أ. د. رشيد كوراد
جامعة الجزائر2

ملخص:

تعد ظاهرة العنف من الظواهر الاجتماعية التي لفتت نظر المختصين بعد تزايد حدتها، ولأن الأدب يعكس بيئة الأديب تأثرا وتأثيرا ،فإن التطرق للظاهرة لا يجب أن يغفل دور الأدباء وتعاملهم معها سلبا أو إيجابا.

تركز دراستنا على الشعر النسوي باعتبار أن المرأة أكثر عرضة لهذه الظاهرة ، فقد عانت ، وتعاني قسوة الرجل وظلمه ، وفي المقابل مارست عنفا موازيا تجلى من خلال نصوصها الشعرية كرد فعل عما يمارس ضدها نظرا لطبيعة معاملة المجتمع للمرأة ككل والمبدعة بصفة خاصة.

ملخص باللغة الأجنبية:

La violence est considérée comme un phénomène social qui a attiré l'attention des spécialistes depuis son accroissement considérable et comme la littérature est le reflet du milieu dans lequel vit l'auteur, il est inconcevable de traiter ce phénomène sans parler du rôle (positif ou negatif) que les écrivains ont joué quant à cette violence. Notre étude focalisera à ce titre, sur la poésie féminine, sachant que la femme est plus touchée par ce phénomène, car elle fut et continue d'être la victime de la violence de l'homme ; parallèlement, elle va exercer une violence qui se manifestera à travers ses textes poétiques en réaction à tout ce qu'elle subit de la part de la société en tant que femme en général et en tant qu'artiste en particulier.

يشهد العنف منحى تصاعديا في مجتمعاتنا ، ولأن المشهد الثقافي جزء منه ، يتأثر الكاتب ويؤثر في المشهد العام ،لذلك نجد انعكاسا للأفعال العنفية في المتون الأدبية بما فيها

الشعر ، ومعروف عن الرجل قسوته وعنفه ، اذ كثيرا ما تتسم العلاقة بين المرأة والرجل بشكل من أشكال العنف ، وباعتبار المرأة من الفئات المهمشة والمقهورة فقد عانت ويلات القهر والحرمان طويلا ،كما أن تركيبة المجتمع الذكوري لعبت دورا سلبيا اتجاه المرأة من خلال نسق ثقافي يرسخ هيمنة الذكر وسيطرته.

ومادام لكل فعل يولد رد فعل مساو له أو يفوقه قوة ، يتبادر الى اذهاننا السؤال التالي : هل للمرأة ردود فعل عنيفة على ما يلحقها من ضيم؟ أم أن العنف فطرة متأصلة في البشر وتظهر كلما سنحت الفرصة وتوفرت الظروف؟ وهل تمارس المرأة عنفا ضد الرجل ؟ وهل يمكن لها أن تؤذي بنات جنسها أو نفسها؟

هذا ما يحاول البحث الإجابة عنه وتتبع اشكاليته النقدية انطلاقا من المتن الإبداعي ...

تعريف العنف:

جاء في لسان العرب: "العُنْف الخُرْقُ بالأَمر وقلّة الرِّفْق به، وهو ضد الرفق. عَنُفَ به وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافة وأَعْنَفه وعَنَّفه تَعْنيفاً، وهو عَنِيفٌ إذا لم يكن رَفيقاً في أَمره. واعْتَنَفَ الأَمرَ: أَخذه بعُنف. (1)

مجمل القول أن المعنى الذي يدل عليه العنف هو : الخرق والتعدي والأخذ بالشدة والقسوة وإيقاع اللوم على الشخص ،ومنه أيضا التعنيف وهو التعيير واللوم، يقال عنّف الرجل: عامله بشدة وقساوة ، اعتنف الأمر أخذه بعنف واعتنف الشيء كرهه ويقال عنفوان الشيء أي أوله وبدايته ومنه عنفوان الشباب.

وفي المعاجم الأجنبية نجد أن "كلمة عنف Violence مشتق من اللفظة اللاتينية Vis التي تدل على الاستعمال غير الشرعي للقوة ، فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي ورفض للقانون والعدالة والخضوع لأي سيطرة "(2)، واللفظة الأجنبية violence مكونة من مقطعين: vi وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ عنه لفظ vitality أي حيوية. كما أن كلمة violence مشتقة أيضا من الكلمة اللاتينية violare التي تعني ينتهك أو يؤذي أو يغتصب. كما توجد ثمة علاقة، في اللغة اليونانية، بين bios أي حياة، واللفظة biaأي عنف. (3)

(1) جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999، الجزء التاسع، ص 424/423

(2) أحمد أوزي ،سيكولوجية العنف (عنف المؤسسة ومأسسة العنف) ،منشورات مجلة التربية، المغرب ،ط1 ،2014،ص 11

(3) مراد وهبه ،المعجم الفلسفي ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998 ،ص477

وتعرف الموسوعة العلمية " Universals " العنف على أنه كل فعل يمارس من طرف فرد أو جماعة ضد فرد أو أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولا أو فعلا و هو فعل عنيف يجسد القوة المادية أو المعنوية .بينما يعتبر قاموس راندوم هاوس .random. Hause) (dictionary مفهوم العنف يتضمن ثلاث مفاهيم فرعية هي فكرة الشدة والإيذاء والقوة المادية(1) . فلا فرق بين عنف يمارسه فرد أو جماعة ممارسة بالفعل أو القول أو حتى الإيحاء.

1- المرأة ضحية العنف :

يتخذ العنف مظاهر شتى كالعنف المادي ،والعنف الثقافي والعنف النفسي والعنف اللغوي ،والإيديولوجي والمقدس ،والعنف الرمزي الذي يهدف للسيطرة على الآخر وإخضاعه مرتكزا على قوة التأثير لتغيير معتقدات المتلقي وتغليطه وخداعه ، وبذلك فالخطاب الشعري صورة من صور تجلي مظاهر العنف ،فما هي تجليات العنف الممارس ضد المرأة وكيف عبرت عنه الشاعرة في ديوانها؟ وما هي ردود أفعالها اتجاه ما لحقها من ظلم وحيف؟

1-1 نمطية الصورة وتحنيط المرأة:

ترسخ في المخيال الجماعي أن لا قيمة للمرأة وأنها عضو زائد لا فائدة ترتجى منه ،وأنّ الرجل هو ركيزة المجتمع وهو المعيل للأسرة وحاميها والساهر على كل شؤونها ، فما المرأة إلاّ تابع عديم النفع ضرره أكثر من نفعه ،لذا لا يؤخذ بمشورتها ولا تمنح مسؤولية الأسرة ،هكذا تصور لنا المرأة في كثير من كتب التراث ، ومازالت هذه الصورة راسخة في أذهان الكثيرين. حيث يجري تشييء المرأة وجعلها من سقط المتاع ،وتبخيس قيمتها والحط من مكانتها في مقابل الرفع من قيمة الرجل ،فالنسق الثقافي يرسخ صورة سلبية عن المرأة وهو بذلك تجسيد لعنف عانت وتعاني منه النساء إلى يومنا هذا ،فالحط من قيمتها هو إلغاء لوجودها ككل.

"يحذفني من خريطة العالم
يبيعني في سوق النخاسة"[2]

(1) علي بركات، العوامل الاجتماعية للعنف المدرسي(دراسة ميدانية في مدينة دمشق) ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،سورية ،2011 ،ص29

) عدالة عساسلة ،يوم إضافي للقيامة ،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ،ط1 ، 2009 ،ص13 2

الصورة السوداوية التي ترسمها الشاعرة للمرأة تترجم حالة اليأس التي تعيشها النساء نتيجة وضع اجتماعي ينظر للمرأة بوصفها كائنا ناقصا تعوزه الفعالية ، فكثيرا ما تصور على أنّها إنسان بلا عقل مرهونة ومقيدة بتبعية الرجل ،تعرّف به زوجة أو أختا أو أما وليس لها كيان خاص ومستقل.

"أفقد لغتي و انتمائي

أراك إذا أنا موجودة"[1]

ان المجتمع يمنح للأفراد استعدادات معينة و يهيئهم لأداء أدوار محددة ،وليس هناك تكافؤ فرص بين الإناث والذكور في مجتمعاتنا الذكورية التي تمنح الذكر مركزية الحياة ،وتهيئه لأداء أدوار فعالة تمكّنه من الهيمنة والسيطرة ،عكس الإناث الذين تمنح لهم أدوار ثانوية ويهيئن لأدوار هامشية تجعلهنّ يقبعنّ في مراتب اجتماعية دنيا ومحتقرة.

"هناك خارج حدود الحضارة

علموني الكلام والمشي والبكاء

والهروب من المشكلات

علموني أيضا الخيانة"[2]

وأشد أنواع الخيانة خيانة الذات ، تلقن الفتاة الصغيرة أن دورها هو إسعاد الآخر (أبا وأخا ثم زوجا) ونكران الذات والاستكانة للظلم والعنف الممارس ضدها تحت طائل الشرعية الذكورية.

كما تحرم من إبداء رأيها حتى فيما يتعلق بشؤونها الخاصة فتصبح رهينة الآخر يتحكم فيها كيفما شاء ،وتخضع له حتى في أبسط خصوصياتها ، فالمجتمع البطرياريكي (Patriarcal) الخاضع لسلطة الأب يلغي وجود المرأة من خلال الوأد الرمزي لها ،وإلغاء عقلها وحبسها بين أربعة جدران بلا حول ولا قوة ، هذه هي الصورة النمطية التي يشكلها المجتمع للمرأة ويحاول فرضها بكل الأساليب للحفاظ على وضع قائم منذ قرون.

"يغير هو اياتي ...يغير هويتي

وجهة نظري"[3]

1) المصدر نفسه ،ص19

2) المصدر نفسه ،ص42

3) المصدر نفسه ،ص71

يضطر المجتمع المرأة إلى تغيير لقبها بمجرد زواجها ولا تحتفظ بخصوصتها بل تذوب في الآخر ،هذا التباين في التعامل بين الرجل والمرأة يجعل إحساسها بالظلم والقهر يتضاعف كلما زاد إدراكها للعنف الممارس ضدها ، فيزداد حزنها وألمها ،ولا تستثنى المرأة المثقفة عن غيرها في هذه المعاملة التفاضلية التي طالما عانت منها حتى في مراحل الطفولة حين يمنح أخوها الذكر امتيازات أكثر ، فالحزن رفيق المرأة و أليفها إذا ما جنّ الليل ،و الجراح النفسية التي تحدثها هذه المعاملة لا تكاد تلتئم حتى تليها جراح أعمق.

"ألتهم جرحي

أجتر أحزاني

تتكاثر نقاط احتمالي"[1]

فالصورة المشوهة للمرأة والعزلة المفروضة عليها والقيود التي تكبلها ،وهي صورة تستدعي معيارا ونموذجا لا يعدو أن يكون هو الرجل نفسه ،فهو واضع النظام الاجتماعي ومهندسه وفيلسوف مراتبه ومقاماته التي جعل نفسه على رأسها لا يضاهيه فيها أحد ،وأنزل المرأة منزلة ثانوية تابعة له أقل مكانة وشأنا ،ومهما بلغت من علم أو حازت من رتب لا بد لها من رجل يأخذ بيدها ويبين لها المسالك التي ينبغي السير فيها ،ويضع لها الحدود والخطوط الحمراء التي لا يجوز أن تتجاوزها ،بينما هو كل شيء مباح لا قيود تحدّ طموحاته

"لك وحدك كل شيء مباح"[2]

وبذلك يتم ترسيخ صورة نموذجية في الأذهان اتصف فيها دائما "الرجل على أنّه القوي ،المتسلط ،القادر ،الفاعل ،واتصفت المرأة بأنها الضعيفة والمفعول بها. وأنشأت المؤسسة الاجتماعية مفاهيم تختص بالرجولة كالتحكم والسيطرة وأخرى ارتبطت بالأنوثة كالبكاء والضعف والهشاشة"[3] وبناء على هذه التّراتبية الاجتماعية يكرّس المجتمع صورة نمطية للمرأة على أنها إنسان ناقص ،فهي في نظر المجتمع العربي كائن رومنسي ضعيف ، لا يملك خيارا في قراراته تتأثر بعواطفها وأحاسيسها فتخاف من البوح بمشاعرها لأن المجتمع لا يسمح لها بذلك وتعلق جلّ آمالها على الرجل فيترتب على ذلك إهمال فكرها ، وإهمال مراتبها العالية مما يؤدي إلى تشييئها، وحال المرأة هذه لا تخرج

1) المصدر نفسه ،ص107

2) المصدر نفسه ،ص77

3) ليليا الجويني ،الرجولة المستفزة في الكتابات النسائية ،دار سحر للنشر ،تونس ، د ط ،2016 ،ص46

على أن تكون انعكاسا لواقعها الاجتماعي والرمزي الخاضع لمؤثرات اجتماعية ودينية وثقافية وحتى اقتصادية.

"أخرج خارج جسمي

و أبكي بلغة أمي"[1]

ولكنها تساهم في ترسيخ ونقل هذه الصورة وتوريثها لبنات جيلها وغرس التفوق الذكوري في أذهانهن منذ الصغر ،ومن ثَمَّ ينمو الشعور بالنقص والدونية اتجاه الآخر ،ويرضخن لهيمنته وسيطرته ، ويلغين ذواتهن ويتجاهلن رغباتهن وطموحهن ، وفي ذلك منتهى العنف النفسي والرمزي.

2-1 الشعور بالنقص والدونية:

تتضافر عوامل نفسية واجتماعية عديدة لتزرع الإحباط والشعور بعدم الثقة في نفس المرأة وتبخيس قيمتها وحضورها مقارنة بالرّجل، فيتولد في نفسها الشعور بالنقص اتجاه الآخر والإحساس بالدونية وامتهان الذات، فكلّ صفات الضعف والمهانة لصيقة بها عكس الذكر رمز الفحولة والقوة والهيمنة والسيطرة والقوامة ،فتترسخ في لاشعورها هذه الصورة وتنطبع ،ويتلخص هذا من خلال "شعور ممض ومثير للذعر بانعدام القيمة ،بهدر الإنسانية ،بإحساس بالاختناق نظرا لاستحالة التعبير عن الذات وتوكيدها من خلال صرخة احتجاج أو نداء. تثير هذه الصورة جرحا نرجسيا جذريا. كما أنها تفجر على صعيد آخر عقدة خصاء شديدة. إنها صورة الإنسان العاجز عن أن يكون في دخيلة نفسه ،رغم ما يتوسله من أقنعة وأدوات تمويه ،يغطي بها عريه الوجودي. حتى الحرمان المادي ،والغبن الاجتماعي يُعاشان تحت شعار انعدام القيمة"([2]) وينشأ الشعور بالنقص نتيجة دوافع نفسية تُشعِر المرأة بالدونية والعجز ،وأنها أقل قيمة وقدرا لأسباب اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو الجسمانية ،فتصبح عرضة لعديد الأمراض النفسية كالانعزال عن الآخرين أو الإحباط أو حتى حبّ الإطراء والتكبر، كما قد تميل إلى العنف والحسد وإيذاء الآخرين جسديا أو معنويا كنشر الشائعات مثلا ،والإحساس بالنقص والعجز يخلق فيها الاعتقاد بأنّها مضطهدة لأنها الفئة الأكثر عرضة للتهميش والإقصاء والنبذ في المجتمع ،وهو ما يجعلها تربط مصيرها بالرجل.

---

1) يوم اضافي للقيامة : عدالة عساسلة ، ،ص28

2) مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط9 ،2015 ،ص196

"وحدك تدرك أن نبضي يصارع الانقراض"[1]

وتزداد حدة شعورها بالدونية ومقارنتها بالآخر القوي المسيطر الذي يمتلك كل الوسائل وتفتح أمامه الأبواب ،عكسها التي تجد نفسها مرتهنة لواقع معادي ،فقدت ثقتها في محيطها وحتى في نفسها وارتضت الهامش وانزوت بعيدا تراقب العالم لا تحرك ساكنا ،فالنسق الثقافي الذكوري أقنعها بقصورها وعجزها وحاجتها لوصاية الرجل وحمايته ،فاستقر في لاشعورها هذا الأمر.

"لك الأرض

ولي الجحيم

وفضاءات الزجاج"[2]

ليس هناك أكثر مأساوية من أن ترضى المرأة بالجحيم وتؤثر الآخر/الذكر بجنان الأرض يتنعم بها ، ترضى أن تحبس خلف الزجاج وتراقب من بعيد وله الحرية يصول ويجول ،هذا ما لقنه لها المجتمع وأعادت إنتاجه.

هذا الشعور غير الطبيعي يزرع في نفسها التشتت والاضطراب بين ما تريده وتطمح إليه وبين ما غرس في نفسها فتغيب عنها الخيارات وتنعدم ،فلا تملك إلا أن تختار بين الأمَرَّين: بين أن تخضع لمشيئة المجتمع وتنكر ذاتها ؛وأن تبرهن على انتمائها فلا تثور على واقعها وترضى بالمعاملة الدونية التمييزية ضدها ،فما هي فاعلة؟

"كنت مشتتة... بين الخضوع والانتماء"[3]

هذا التشتت يترك أثره في نفسية المرأة فينعكس على قراراتها ،فتتعلق بالسماء (القضاء والقدر) وكأنّما قُدِّر لها أن تعيش على هامش المجتمع ،وأن تُحرم من قدراتها وتَحرم المجتمع من الاستفادة منها ،ولعل ذلك نابع من تأويل النصوص الدينية بما يتوافق مع العقلية الذكورية المهيمنة على المجتمع ،وكتم صوت المرأة بالأعراف والتقاليد والدين.

"السماء لا تبكي معي"[4]

وحينما تفقد المرأة ثقتها في نفسها ،تفقد بوصلتها وتتيه في مفاوز الحياة ،وكيف لها أن تتخذ القرار؟ فقد تمّ تلقينها أن التفكير خطيئة وأن العقل ينقص من أنوثتها ،لقد تربّت

---

1) يوم اضافي للقيامة : عدالة عساسلة ،ص73

2) المصدر نفسه : ،ص15

3) المصدر نفسه،ص123

4) المصدر نفسه : ،ص26

في وسط عطّل تفكيرها ورهنه بالرجل ،فليست مسؤوليته إعالتها فقط بل اتخاذ القرارات المهمة في حياتها أيضا موكل به ،لأنّها قاصر مدى العمر وتحت الوصاية ،لذلك تزداد حيرتها وتهتزّ ثقتها بنفسها حينما تواجه الحياة بمفردها.

"إلى أين يؤدي الطريق

والمجهول ممتد بلا نهاية

والخوف يمتد بلا قرار"[1]31/30

الخوف صديقها الوفي رضعت حليبه منذ طفولتها ،خوفها من الآخر ومن المجتمع ومن المستقبل ومن المجهول ،فالهروب وسيلتها الوحيدة للنجاة ،ولكن إلى أين المفرّ؟ فلا قريب ينصفها ولا بعيد يعذرها ،وحتى لما تقرر الهروب إلى عالم الخيال والأدب تجد نفسها مكبلة بتقاليد أدبية سنّها الرجل ووضع قواعدها ،وحتى اللغة نتاج مجتمع يُعلي من شأن الذكر وكل ما له صلة به ،ولا يمكنها أن تخرج عن السياق الذي وضعت له ،فالمرأة كانت ومازالت موضوعا للأدب عليها أن تحارب لتصبح ذاتا فاعلة.

"عندما قررت الهروب

هزمني الكلام"[2]

وهكذا فالمجتمع رسم للمرأة صورة تتوافق والتراتيبة الاجتماعية السائدة التي تجعل من الذكر مركزا وتهمش المرأة وتحط من قيمتها ،صورة تجعل منها كائنا ناقصا ونصف رجل وعالة وتابعا لا فاعلا مؤثرا في النسيج الاجتماعي ،هذه الصورة التي انطبعت في المخيال الجماعي انعكست على المرأة فنتج عنها شعور بالنقص وإحساس بالدونية في مجتمع يعاملها بازدراء ولا يقيم لها وزنا أمام الرجل وإن علا شأنها واحتلت المناصب .

2- العنف المضاد: من الضحية إلى الجلاد

لم تستسلم النساء للقهر المسلط عليهن والعنف الممارس ضدهن بل ثرن ضده وانتفضن للمطالبة بحقوقهن المهضومة ، فكان ردّ الفعل في كثير من الأحيان أكثر عنفا من العنف المسلط عليهن ويتجلى ذلك شِعريًا من خلال عدة مظاهر سنحاول اختصارها في مظهرين:

2-1 تضخم الأنا:

يُتعبر تضخم الأنا قناعا تتقنع به الذات لتثبت نفسها وتقنع غيرها بتفوقها، وتلجأ في ذلك إلى سلوك تحط به من قيمة الآخر ،وترفع من شأنها وتعلها وتمجدها ولو بمنجزات

1) المصدر نفسه ،ص31/30

2) المصدر نفسه ،ص170

وأعمال خيالية في محاولة لإشباع الذات المحرومة ،وتأليهها وتلبية رغباتها وتحجيم الآخر واستصغاره ،وهذه الثقة الزائفة تتمركز حول الذات وتلغي الآخر ،في ردّ فعل عمّ لحق المرأة من أنواع العنف على مدار قرون ،فتحاول المرأة التعبير عن الإحباط والتهميش الذي لحق بها من خلال الميل إلى اختيار مفردات وتراكيب ذات حمولة دلالية عنفية تشي بتمكّن نسق العنف من الاستعمال اللغوي.

"يا سيدتي العر افة

آن الأوان أن تقرئي كفي"[1]

فقد آن الأوان لتحتل المكانة التي تستحقها وتصبح مركز المجتمع والفاعل فيه لا مفعولا به مثلما ضلت لرده من الزمن ،فإيمانها بقدراتها وكفائها يجعلها تواجه المجهول دون خوف.

وتجد في نفسها القدرة على إثبات ذاتها والتحكم في نقطة ضعفها التي وصمت بها طويلا وهي طغيان المشاعر ، لقد استسلمت لمشاعر الرحمة والعطف والحنان فكان أن امتهنت كرامتها ودِيسَتْ حقوقها ،فماذا لو أعادت جدولة مشاعرها واحتفت بمشاعر الغضب والحقد والانتقام؟

"أعيد جدولة مشاعري

أترك ترويض غابة الاستواء"[2]

قد يكون المجتمع غابة مليئة بالمخاطر ،وقد يتجسد الآخر ذئبا يحاول افتراسها ، ولكنها بعد ما سئمت الاختباء والخوف لم تعد تخشى شيئا ،إنّ ثقتها الزائدة في نفسها تنقلب غرورا وغطرسة ،فتحذره من ثورتها وغضبها لذا ما عليه إلا الاعتراف بقوتها والخضوع لجبروتها. هكذا هي المرأة إذا ما بلغ بها الغضب مبلغه لبؤة لا سبيل لمواجتها.

"ذئبي العزيز

عندما أنفجر

دع عواءك

دع هراءك

ووقع على الاعتراف"[3]

---

1) المصدر نفسه : ،ص163

2) المصدر نفسه ، ص29

3) المصدر نفسه ،ص346

الإحساس بالظلم والقهر يقود إلى التطرف أحيانا ،لذا لا تتوانى الشاعرة عن المطالبة بتبادل الأدوار لا مجرد المساواة ،تريد من الآخر أن يجرب بعضا مما تجرعته من عنف كانت ضحيته لمدة ليست بقصيرة ،كيف سيكون ردّ فعل الرجل إذا وقع ضحية المرأة؟ هل سيرضى ويتعايش مع الأمر كما فعلت هي؟ أم سيثور ويرفض الواقع؟

"ماذا لو أكون قاتلة

وتكون الضحية

مادامت زحمة الأيام في كل الأيام"[1]

الثقة في النفس تتحول تدريجيا إلى نرجسية وطاووسية فترفل الشاعرة/الأنثى في عُجْب وخُيلاء ،لقد قررت احتلال مكان الرجل وردّ الصاع صاعين له ،فكل ما يصدر منه مردود عليه ،حتى الطفولة التي لا تتشكل الفوارق فيها بين الجنسين بشكل كبير ولا تحسّ البنت بالإجحاف إلا مع تقدمها في العمر ،فإنّ طفولة الرجل بالنسبة لها مرفوضة(مالحة) وطفولتها فقط المرغوب فيها والمثال الذي يجب أن يُحتذى مادامت عذبة فرات ،وسيظل صوتها رنانا مجلجلا يصدح برغباتها ويعبر عن مكنوناتها المكبوتة من عقود.

"أزرع طفولتك المالحة في كفي

صوتي لا يشيب"[2]

إنها سليلة جدّتها شهرزاد سيدة الحكي ،من أسرت شهريار بكلماتها ،هذا الصوت الخالد الذي (لا يشيب) يمنحها الإحساس بالأمان وينفس بعضا من مكبوتاتها ، إن الكلمة سلاحها القوي والعنيف الذي يترك أثره في نفسية الآخر ويصيبه في مقتل أليست "الكلمة تسمّم وتقتل وفعاليتها أقوى من فاعلية الأسلحة"[3] كما قيل؟

2-2 الاستهزاء والازدراء:

تستمد اللغة سحرها من قدرتها على استحضار الألم من خلال العنف اللغوي. قد تبدو تعابير الاستخفاف والإذلال والإهانة والسخرية مجرد استخدامات اللغويّة نتيجة النشاط الانفعاليّ، لكنها في الحقيقة جزءٌ مكوّنٌ لنظام اجتماعي معيّن، ناشئ عن تصوّر

1) المصدر نفسه :،ص60

2) المصدر نفسه ،ص20

3) كلود يونان ،التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي ،،دار النهضة الحديثة ، بيروت،2011،ص114

ثابت عن الآخر ،ويتحدد من خلاله صلته به، وتحدّد مكانته لديه. فهذه التعابير تعبر عن وجهة نظر ذات بعد أخلاقيّ وسلوكيّ لفرد أو جماعة معينة تجاه جماعة بشريّة أخرى.

لذلك تلجأ الشاعرة/المرأة إلى استعمال ألفاظ وتعابير ساخرة ومستفزة للآخر كرد فعل عن الشعور بالدونية الذي ألحقه بها ،فتصف نبذه لها وهجره بالهروب والجبن مستغلة إمكانات اللغة لإحداث مغالطة منطقية من خلال قلب الوقائع وتزييفها لغرض السيطرة على الآخر والتأثير عليه.

"هروبك يشوه طفولتي"[1]

تحدث اللمسة الأنثوية الفارق حيثما حلّت ،حتى الخراب تحيله جمالا أخّاذا هكذا تقول عدالة عساسلة وهي تصف العزلة بكل ما تحمل من انطواء وكآبة ومرارة لتجعلها بسحرها الأنثوي فاخرة ومشتهاة ، وفي ذلك تعريض بالرجل الذي يحدث الخراب والدمار في العالم ويعيث فيه فسادا بتحييد عنصر فاعل في المجتمع (المرأة) وهدر طاقاته الخلاقة.

"ماذا لو تشاركني ضياع العذاب
وعزلتي الفاخرة"[2]

تستخف الشاعرة بأسلوب ساخر تهكّميّ بمن يجسد المرأة كائنا بلا رأس ،وتؤكد الشاعرة أنها إنسان كامل يفكر ويحلم ،بل أحلامها أكبر من أن يحتملها رجل ، فتحذره من أن يحرك رأسها ساعة حلمها ،فيصيبه عاقبة أمره ،فخيالها خصب وأحلامها كبيرة وعالمها يتفتق جمالا وفتنة ،ولولا فسحة الخيال لما استطاعت تجاوز العقبات الكثيرة التي تعترضها في كل منعطف من منعطفات الحياة وحواجزها.

"سيدي لا تحرك رأسي ... إني أحلم"[3]

تطاردها لعنة الخطيئة الأولى وتُحمَّل وِزْر الخروج من الجنَّة وغواية حواء لآدم ،ولكن محاولة الآخر إشعارها بالذنب لا تفلح مع الشاعرة التي أدركت أنّه شريكها في الغواية ،بل أنّ رضوخه لطلبها هو ضعف منه ،لأنها لم تملك عليه سلطانا لتجبره على فعل ما فعل ،ولا يمكن لومها على خطأ ليست المذنب المباشر فيه ،ولتُمْعن في الاستهزاء بمزاعمه تساويه بالتفاحة (رمز الخطيئة) وتُشيئه ،وبذلك تكون انتقمت لبنات جنسها وردّت المعاملة بمثلها.

"أعلِّم كلّ النساء

---

1) المصدر نفسه ،ص13

2) يوم اضافي للقيامة ،ص59

3) المصدر نفسه ، ص69

بأن آدم كان في الأصل تفاحة"[1]

ومادام راضخا ومستسلما لمشيئتها ،فليحذر منها وقد أصبح لعبة بين يديها ، توجهه كيفما تشاء. إن حياته معلقة بين يديها تهدده بسلبها منه ،وليس له خيار إلا ما تأمر به. هكذا هي المرأة إذا أحبت منحت الحياة وإذا صدّت جلبت الموت والدمار ،إنها تجسيد للآلهة اليونانية

"كن حذرًا... و إياك أن تموت

قبل أن أهدر دمك"[2]

تمارس الشاعرة عنفها على الآخر بواسطة اللغة مستغلة إمكاناتها العنفية المتولدة عن أساليب الترغيب والترهيب والاستهزاء للحط من قيمة الآخر وسلبه القدرة على المقاومة والتحكم في انفعالاته وهو ما يقوده إلى الارتباك "عندما يشعر بالإفلاس في الموقف وهذا بدوره يؤدي إلى سلوك غير متوازن وغير مقبول"[3] سواء بالرضوخ لرغباته ومحاولة تبرير مواقفه أو القيام بردود فعل فجّة تكشف ضعفه وقلة حيلته.

الخاتمة:

من نافلة القول أن نؤكد على أن المرأة تعرضت لشتى صنوف الإيذاء والتعنيف النفسي والمادي على مرّ العصور وفي كل المجتمعات ،فالقوة التي تمتلكها الفئات المهيمنة تدفع إلى ممارسة العنف على الفئات المهمشة التي تأتي في مقدمتها النساء. وقد سعت النساء إلى الجهر بما يلقين من معاملة سيئة بكل الطرق الممكنة وكان الأدب في مقدمة هذه الوسائل ،فقدمت الأديبات نصوصا مشحونة بالعنف ،وتمّ تشريح الظاهرة بشكل مكثف ووصف ما تعانيه المرأة من قهر وحرمان من خلال محاربة الصورة النمطية التي رُسمت لهن ،والعادات والتقاليد التي تقيّدهنّ وتحدّ من حريتهنّ ،إلى جانب تجاوز اللغة المنحازة للذكر المسيطر ،و إحكام السيطرة على أجسادهن لأن إرضاخ الجسد يتبعه هيمنة على الذات الثائرة والرافضة للنسق الاجتماعي الذي يحطّ من قيمة المرأة ،ويهمشها ويقصيها من الحياة العامة ،ويفاضل بينها وبين الرجل على أساس جنسي محض ،فينقلب ذلك إلى إحباط وشعور بالدونية وفقد الثقة في النفس ، و بالمقابل جاء ردّ فعلهن عنيفا كانعكاس للوضع الذي عِشْنه ،فأصبح الرجل هدفا لسهامهن المصوبة نحوهم في صورة الإغراء والإذلال والاستهزاء ومحاولة تجاوز الأنساق القائمة ،بل تعدى الأمر ذلك فانعكس الأمر عليهن وانقلب السحر

1) المصدر نفسه ،ص140

2) نفسه ،ص93

3) الرجولة المستفزة في الكتابات النسائية : ليليا الجويني ، مرجع سابق ،ص31

على الساحر ،فارتد العنف على الذات المبدعة في صورة تضخم الأنا والنرجسية وحتى إيذاء الذات لأجل لفت الانتباه ورفض الواقع المهين الذي عاشت فيه.

مصادرومراجع الدراسة :

أ – مصدر الدراسة :

يوم اضافي للقيامة : عدالة عساسلة . منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين .الجزائر – ط1 – 2009

مراجع الدراسة :

1- أحمد أوزي ،سيكولوجية العنف (عنف المؤسسة ومأسسة العنف) ،منشورات مجلة التربية، المغرب ،ط1،2014.

2- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999

3- علي بركات، العوامل الاجتماعية للعنف المدرسي(دراسة ميدانية في مدينة دمشق) ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،سورية ،2011.

4- كلود يونان ،التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي ،،دار النهضة الحديثة ،بيروت ،2011.

5- ليليا الجويني ،الرجولة المستفزة في الكتابات النسائية ،دار سحر للنشر ،تونس ، د ط ،2016

6- مراد وهبه ،المعجم الفلسفي ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1998

7- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط9 ،2015.